# ابن الفـــارض ...
# والفلســـفة ...
# وابن ســـينا ...

للأستاذ ادوار الجواهرجى

ذكرت فى العدد السابق لهذه المجلة أن ابن الفارض قد أحرز ذكر « ابكار المعارف » فى ديوانه لاعتبارها أقوى إثبات للروحانية ، غير أنه قد أحرز أيضاً ذكر « وجود الشر » وهو أقوى تعليل للزندقة ، وعالج بشعره الساحر هذه المسألة الفلسفية الخطيرة مستعينا بفلسفة ابن سينا .

يعلل الزنادقة أن وجود الشر ينفى وجود الله وقدرته .

ويرد ابن الفارض على هذا التعليل بقوله .

ترى صورة الأشياء تُجْلى عليك من ... وراء حجاب اللَّبس فى كلِّ خلْعة
تجمّعت الأضداد فيها لحكمة ... فأشكالها تبدو على كلِّ هيئة

ومتى قال « تجمعت الأضداد فيها لحكمة » فقد التقى بفلسفة ابن سينا عن « الخير والشر » و « القضاء والقدر » و « العناية الإلهية » .

أما عن « وجود الشر » يقول ابن سينا :

« ينقسم الموجود إلى واجب وممكن . أما واجب الوجود فهو الله وحده . أما العالم ومنه الإنسان ، فما هو إلا ممكن الوجود .

فطبيعة الواجب انه كمال مطلق وخير محض لا نقص فيه ولا شر . وحيث كان العالم ممكنا فهو بعيد عن الكمال المطلق ، وإذن فيه نقص وفيه شر . وهذا هو تعليل دخول الشر والنقص فى العالم أى من جهة طبيعته وهى الإمكان .

والشرور الحاصلة فى بعض الموجودات لا تخلو من حكمة ، إذ بها قوام العالم ، ولولا تلك الحكمة ما وجد الشر . مثال ذلك : نزول المطر ، فانه ينبت الزرع ، ويكون مصدر الحياة للنبات والحيوان ، ولكن قد يقع من السيول المتدفقة

أضرار ، غير أن هذه الأضرار يسيرة إلى جانب الخير الكثير ، ولو امتنع نزول المطر لأصاب الأرض جدب وامتنعت الحياة . لذلك لا بد من احتمال الشر اليسير من أجل الخير الكثير » .

وعن هذه الحكمة الخفية السرية قد جاء أيضا فى ديوان ابن الفارض ( الحقيقة أى الله الحق يتكلم هنا ) :

وعن أنا إيَّاى لبـــاطن حكمة ... وظاهر احكام أقيمت لدعوتى
وفى كل معنى لم تبنه مظاهرى ... تصوَّرتُ لا فى صورة هيكلية
وفيما تراه الروح كَشْف فَراسة ... خَفيتُ عن المَعنى المُعنى بدقَّة
وفى رحموت البسط كلى رغبة ... بها انبسطتْ آمال أهل بسيطتى
وفى رهبوت القبض كلى هيبة ... ففيما أَجَلْتُ العين منى أَجلَّت

وما أن انتهى ابن الفارض من تفسير وجود الشر القليل ، سرعان ما غادره وتركه موجها أنظاره نحو ما يترجح عنه وهو وجود الخير الأكثر . وهنا يرتفع بنا الى مشاهدة المحاسن والبدائع فى الموجودات فيقول : ( الحقيقة أى الله الحق يتكلم هنا ) :

تَنزَّهتُ فى آثار صُنْعى منزِّها ... عن الشرك بالأغيار جَمْعى وألفتى
ولستُ ملوماً أن أبثَّ مواهبى ... وأمنح أتباعى جزيلَ عطيَّتى

وهنا يتفق ابن الفارض مع تعقيب فلسفة ابن سينا ، وهو :

« أنَّ عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة ، لأنه لو كان أفضل من ذلك وأكمل لكان هو الخالق ، وليس فى الوجود مطلق إلا واجب الوجود ، وهو الله » .

فيختتم بحث مسألة « وجود الشر » فى ديوانه بالبيت الآتى :

فلا عَبثٌ والخلقُ لم يخلقوا سدًى ... وإنْ لم تكُنْ أفعالهم بالسَّديدَة

أما نصيب ابن الفارض ، باعتباره فيلسوفاً شاعراً ، فى معالجة هذه المشكلة الفلسفية الخطيرة فيرجع إلى قوة الشعر فى التعبير وتأثيره فى النفوس ، وهذا ما لم يأت به الفيلسوف الناثر ابن سينا .

# الصوفية والرباط فى سبيل الله

أصدرت المكتبة التاريخية كتابا عن الإسلام فى أسبانيا، للدكتور لطفى عبد البديع

وقد عقد الدكتور فصلا فى هذا الكتاب عن الفرق الصوفية العسكرية التى احتلت مكانة كبرى فى تاريخ أسبانيا فيما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر باعتبارها قوة عسكرية وسياسية فى آن واحد . وقد تولت هذه الفرق الدفاع عن الأندلس وحمايتها .

وكان مولد هذه الفرق كما يقول الدكتور فى احضان تدين روحى وحربى . وكان قوامها المسلم الذى التقت فى كيانه عناصر المتصوف مع عناصر المحارب .

ثم يقول الدكتور لطفى : ولم يكن من قبيل الصدفة أن تولد هذه الفرق فى بلاد تعد تخوما وحدودا للإسلام كفلسطين وأسبانيا ، ففى فلسطين نشأت الفرق التى كانت تتولى حماية الحجاج إلى القدس أو التى ترعى الضعفاء والمرضى ممن يصلون إليها

وهذا النظام عرفه المسلمون منذ قرون عدة ، فكثير من المتصوفة كان جل همهم من سياحاتهم فى أقطار العالم الإسلامى ، خدمة الفقراء ، ورعاية المرضى والمحتاجين والسهر عليهم ، وكانت أعمال البر من القربات الصالحة التى يبتغون بها الثواب والأجر من الله .

وكذلك أيضا طوائف المرابطين فى الثغور الإسلامية فقد جمعوا إلى التصوف والعبادة نزعة الجهاد فى سبيل الله ، والرباط فى مواضع الخطر من الإسلام ،

وكان لأهل هذه الثغور منزلة بين عامة المسلمين يكرمونهم لمكانهم من الثغر وما يلقون فيه من مدافعة أعداء الإسلام . ولقد كان المسلم يقصد إلى ثغر من الثغور الإسلامية يقيم فيه ويرابط ويتهيأ للغزو فى كل ساعة ، يلتمس بذلك الأجر والثواب امتثالا لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

وكان من السنن الإسلامية الحميدة أن يخرج الزهاد والعباد فى طليعة الجيوش الإسلامية يتقربون إلى الله بذلك . ومنهم من كان يدعو الله وهو فى الكعبة أن يرزقه الشهادة ليفوز بنعيم الآخرة .

وهكذا هو التصوف: جهاد فى كل ميدان لإعلاء كلمات الله وإيجاد إنسانية أسمى